سهو جامع الاظمية

وفي ضمنه ذكر جامع ابي يوسف وجامع السلطان سليم الثاني

بقلم : العلامة المحقق يعقوب سركيس

دعتني حاجة الى مراجعة كتاب تاريخ مساجد بغداد وآثارها للعلامة المرحوم محمود شكري الآلوسي الذي نشره تلميذه الوفي البار الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثري وقد صدره بمقدمة في صفحات كثيرة ولم يخله من حواشي وكنت علقت على الكتاب الشيء الكثير ذلك كل ماوقفت عليه اثناء مطالعاتي في كتب عربية وتركية ووثائق خطية ووافق اني وجدت تعليقاً لي على نبذة عنوانها مسطور باعلاه وعلى الاستدراك للاستاذ الناشر فبدا لي بيان ذلك هنا .

جاء في الكتاب (الص ١١٧) ما يلي : « ولما استولى الشاه اسماعيل الصفوي على العراق سنة ٩١٤ نقض المشهد والقبة وأعاد بناءها على وضع بديع . . . ويقال ان كثيراً من المباني التي امر بانشائها وعمارتها لم تكمل وان مات سنة ست وثلاثين وتسعمائة .

ولما استرد العراق السلطان العادل الغازي سليم خان العثماني وجاء بنفسه الى بغداد وذلك سنة ٩٤١ أمر حينئذ باكمال تلك العمارة وانشأ حولها جامعاً عظيما تقام فيه الجمع والجماعات وهو الى اليوم على رصانته ووضعه وبنى منارة في الركن الذي بين الشرق والشمال . . . وتحتها صخرة منقوش فيها بحروف بارزة ابيات بالتركية مشتملة على تاريخها وهي . . . » اه وقد أوردها وفيها هذان البيتان :

بخت سلطان سليم دين (برود) اول ملاذ جهان قطب انام
فضلي اخلاص ايله ديدى تاريخ اولدى بو جا نفر منارة تام

(يلاحظ ان تصوير كلة جا نفر هي بفاء وراء مهملة فحسب)

وجاء في الاستدراك (الص ١٤٦) ان الآلوسي — رحمه الله — « استطرد الى جامع السنة المشهور عند الناس باسم جامع السلطان سليم وقال ان بانيه السلطان سليمان القانوني فعدلت عن قوله الى القول المشهور وزدت بعد هذه الجملة « وبني في الركن الذي بين الشرق والشمال الخ . » ثم ذيلتها بابيات تركية وجدتها على هامش النسخة المخطوطه وقد ورد فيها اسم السلطان سليم فكان ذلك ايضاً من جملة الدواعي التي حملتني على متابعة القول المشهور غير اني لم انتبه الى قوله « فلما استرد العراق الخ . » الا بعد أن طبعت البلزمة . فان الذي استرد العراق من الصفويين انما هو سليمان القانوني (قلت هو ليس بمسترد انما هو اول من ملك العراق من العثمانيين) فبقي في العمارة لبس لا يزول الا بجعل سليم « سليمان » كما كان اولا . ولعل هذا هو الصحيح وان لم يترجح لدي احد الأمرين حتى الآن واذا صح ان قول المؤلف باني الجامع هو سليمان القانوني بقي عندنا امر المنارة .

ولا ريب ان ورود اسم السلطان سليم في الابيات يدل على انه هو الذي امر ببنائها وان لم يدخل بغداد على ان عددت قول الشاعر التركي في تاريخها : « اولدى بوجا نفر امناره تام » (هنا جا نفرا بفاء وراء مهملة بعدها الف) فوجدت بين بنائها وبين سليم الثاني بوناً شاسعاً « اه قلت سلطنة سليم الثاني من سنة ٩٧٤ الى سنة ٩٨٢ .

وقال الاستاذ الاثري « وقد وددت لو يتسع لي نطاق الوقت فاحل هذه العقدة فاني ما زلت متحيراً في ذلك على ما بذلت من الجهد في مراجعة عشرات المؤلفات التاريخية في التركية والعربية ولعل بعض العراقيين يرشدنا الى الحقيقة ان شاء الله » اه

فنزولا عند هذه الرغبة الناشدة للحقيقة اقول من الأصابه الرجوع الى ذكر اسم السلطان سليمان كما في الاصل للآلوسي وقد جاء في كلشن خلفا (الورقة ٦٢) (هو تاريخ بغداد لمؤلفه نظمي زاده المتوفى في العقد الرابع من القرن الثاني عشر) ان السلطان سليمان زار الامام الكاظم ومحمد الجواد واكمل ما كان قد شرع الشاه اسماعيل في بنائه للاستانة وللجامع وعين لخدامها رواتب تؤدي من خزينة بغداد . ولعل مأخذ الآلوسي هذه الكتاب .

ان تحير الاستاذ في امر باني المنارة سببه ورود اسم السلطان سليم في الابيات التي نقلها ووجود البون الشاسع بين زمن جلوسه ووفاته وبين التاريخ الذي في البيت المنوه به باعلاه هو تحير لا محل له . والعقدة التي طلب حلها سهل هو وضع نقطة على الراء المهملة التي في كلة « جا نفرا » فتصبح الراء زاياً منقوطة فيساوي شطر

الى الربيع

في الوقت الذي يطلع علينا الشاعر الشهير السيد محمود الحبوبي بهذه القصيدة العصماء — الى الربيع — يفاجئنا البريد بحمل كتاب — ادب الربيع — اخراج (الآنسة جميلة العلايلي) وهي صدفة جميلة قل ان تكون ؛ وليس لنا إلا ان نقدمها الى قرائنا الكرام والى الآنسه العلايلي وردة ربيعية تلثمها الافواه وتشتاقها الانفس .

البيان

وافى الربيع فقم اليه ووفه ... حق الشعور بنعته وبوصفه
فرش الثرى بالورد غذته السما ... فتراه يشكرها بنافح عرفه
ما كان عدلا أن تجن ويزدهي ... للظبي في جوز الفلا وخشفه
والطير خلت وكنها لجماله ... والوحش اصبح خارجا من كهفه
والمرء حيا منه قرة عينه ، ... ومتاع مسمعه ، ومنية انفه ؛
نشر الهناء ؛ ولف راية غيره ... أهلا به ، وبنشره ؛ وبلفه ،

* * *

أنصت الى الاطيار قد أوحى لها ... سحر الغناء بحسنه وبلطفه
ولقد تقول بشدوها : كن مثلنا ... لاتخش من ريب الزمان وصرفه
إن اثبتت هما بقلبك فكرة ... فابكر الى مجلى الطبيعة تنفه
ماذا يريد المرء مما انبتت ... اعوامه غير السرور وقطفه

* * *

من ضامن لك أن تعيش الى غد ... وغد حجاب قد تساء بكشفه
هي فرصة قد لاتعود فقم الى ... كوب الطلا وذق الهناء برشفه
وتناس ما اسطعت الانام وذكرهم ... واشرب على نغم الهزار وعزفه
واقف الربيع وما اتاك به وضع ... للبشر كفك ما حييت بكفه
هو خير من صاحبت ، ما استعطفته ... الا غمرت ببره وبعطفه
يلقاك تحت الشمس ضاحك ثغره ... واذا رقدت رعاك ساهر طرفه
الارض لم تكتم جميل صنيعه ... والجو فضل عبيره لم يخفه
بادر له يشفي الفؤاد نسيمه ... واترك وراءك كل مالم يشفه
فصل يجيئك كل عام مرة ... فتلقه لقيا الا ليف لالفه
هذي الطبيعة فيه ضاحكة فلا ... يعبس جبينك للزمان وعسفه
وامرح مع الاطيار فيه ، فربما ... وافى وعاشقه فريسة حتفه
واطلب حقيقة ما تسر به ودع ... من شاء ينعم بالخيال وسخفه
فمن الغباوة أن يريد تمتعاً ... بالنور مختبئ بظلمة سجفه
صدق الزمان بوعده لك بالهنا ... فاهنأ ولاتذكر سوابق خلفه

* * *

سبحانك اللهم زدت تفضلا ... عن شكر ما اعترف اللسان بضعفه
واعدت ازهار الربيع منسقاً ... ومؤلفاً صنفاً يضم لصنفه
زنت الحياة بكل حسن رائع ... لم نجزه حق الهوى ونوفه

محمود الحبوبي

التاريخ بحساب الجمل ٩٧٧ وهذه سنة من سني السلطان سليم الثاني . وسبب وضعي نقطة على الراء هو ان لفظة « جا نفرا » [براء مهملة] لا معنى لها وان لفظة « جانفزا » [بزاي] معناها في الفارسية ثم التركية : مفرح سار وما ضاهى ذلك واذ جاء في الابيات ان ناظمها هو فضلي فهو ابن فضولي [وراجع مقالا لي في مجلة الاعتدال بشأنها [لسنة ٥ الص ٦٧٧]

واذ قد انجر الكلام في المساجد على جامع الامام ابي يوسف ارى مجالا هنا لبيان ما جاء في كلشن خلفا عن تجديده (الورقة ١٠٤) ذلك ان والي بغداد عمر باشا جدد القبة الحاوية لمرقد الامام ابي يوسف وكذلك جدد رواقه وعين له خداما كثيرين ووقف عليه اوقافا جديدة . وكانت ولاية هذا الوالي من سنة ١٠٧٩ الى سنة ١٠٨٢

وهنا مناسبة للقول ان أبا يوسف كان يزار قبل ذلك فقد زاره في سنة ٩٦٠ أمير البحر التركي سيدي علي بمروره ببغداد كما جاء في كتابه مرآت الممالك (بالتركية وهو مطبوع في استامبول في سنة ١٣١٣ م وكان هذا الكتاب قد نقل الى الالمانية ومنها الى الفرنسية ونقل أخيراً الى الانكليزية)

وختامي للكلام ان هذه النقطة ليست هي أول نقطة عرفت ما فعل طموسها وظهورها من أمر فقد كنت عرفت وقوع نزاع بشأن أراضي زراعية واسعة جداً فاحد الفريقين كان يدعي ان الحد هو « حبارة » (بحاء مهملة) والثاني يدعي ان هذا الحد هو « جبارة » (بجيم) ولا أدري كيف كان الحل . أما هنا فقد تيسر لي حل العقدة والله الهادي الى الصواب ،

بغداد : يعقوب سركيس